الفصل السابع

مراكب الشمس .. شهادة التاريخ

obeikan.com

obeikan.com

الفصل السابع 9

كثيراً ما يحدث اختلاف فى الآراء حول الاكتشافات الأثرية، وتخرج إلينا تفسيرات عديدة من العلماء، فيكون بعض هذه الآراء مستنداً على أدلة علمية، والبعض الآخر مستنداً على دوافع شخصية. وقد حدث ذلك بعد أن اكتشف "كمال الملاخ" مراكب الملك "خوفو" عام ١٩٥٤م، ذلك الكشف الذى أثار جدلاً واسعًا بين العلماء والباحثين وجدد الجدل الذى كان قد أثير بعدما كشف سليم حسن عن حفر المراكب الخمس للملك "خفرع" وقام بإخراج دراسة شيقة عن وظيفة المراكب داخل المجموعات الهرمية، وتعددت الآراء حول وظيفة المراكب، فالبعض رأى أنها مراكب جنائزية، والبعض الآخر ظن أنها مراكب شمسية، ولازال الدارسون وطلاب الآثار فى الجامعات المصرية يعتقدون فى الرأى الأول. وقد وجدت أنه حان الوقت لنشر كل هذه الآراء ومناقشتها حتى نصل إلى الرأى العلمى الأرجح الذى يفسر وظيفة وحقيقة هذه المراكب.

وفى البداية لابد أن نذكر أن مصر القديمة قد عرفت أنواع عديدة من المراكب يمكن تفصيلها كالآتى:

أولاً: المراكب الدينية، وهذا النوع من المراكب كان رمزياً يستخدم للإله فقط، وتوضع هذه المراكب غالباً بقدس الأقداس داخل المعابد، وكان الكهنة يحملون المركب وبداخلها تمثال الإله كى يزور المعابد الأخرى، مثل زيارة "حورس" لمعبد "حتحور" بدندرة، أو زيارة الإله "آمون" لمعبد الأقصر.

ثانياً: المراكب الجنائزية، وهذا النوع كان يستخدم لنقل مومياء الملك لزيارة الأماكن المقدسة الخاصة بالإله "أوزوريس" ومنها "أبيدوس" فى الجنوب و"بوتو" فى الشمال، هذا بالإضافة إلى أن هذا النوع من المراكب كان يستعمل أيضاً فى نقل جثمان الملك من قصره الذى يقيم فيه إلى الجبانة حيث يوجد هرمه.

ثالثاً: المراكب الدنيوية، وكانت تستخدم فى النيل لنقل الجرانيت من محاجر أسوان، أو الألباستر من حتنوب بمصر الوسطى، أو الحجر الجيرى من طره، أو لنقل المسلات من محاجر أسوان إلى معابد الأقصر والكرنك، بالإضافة إلى استعمالها لنقل العمال الذين يحفرون فى الصخر للعمل فى بناء الأهرامات، وهناك مراكب سافرت عبر البحار إلى جبيل (لبنان) لإحضار أخشاب الأرز ويسجل حجر "باليرمو" المراكب التى كان يرسلها الملك "سنفرو" والد الملك "خوفو" إلى لبنان لإحضار هذه الأخشاب. وهذه الأنواع من المراكب مسجلة على معابد الدولة القديمة وخاصة معبد الملك "ساحورع" بأبو صير، بالإضافة إلى المراكب التى كانت تستعمل للسفر إلى الجنوب وخاصة بلاد بونت لإحضار البخور والزيوت العطرية والذهب.

رابعاً: المراكب الحربية، التى استخدمت فى الدولة الحديثة والمصورة بمعابد الدولة الحديثة وخاصة معبد مدينة هابو الذى يصور المعارك البحرية للملك "رمسيس الثالث" آخر ملوك مصر المحاربين ضد شعوب البحر.

خامساً: المراكب التى استعملها المصرى القديم للنزهة فى النيل وهذه المراكب ممثلة بأشكال مختلفة على المقابر، بل إن قصة "خوفو والسحرة" التى تشير إلى قصة حدثت فى عهد الملك "سنفرو"، فقد خرج الملك للنزهة فى مركب داخل البحيرة الملحقة بالقصر، ترافقه فتيات جميلات يجدفن ويتغنين بأجمل الأغانى، وأثناء التجديف سقط قرط إحداهن، واستطاع رئيس المرتلين بسحره أن يخلى البحيرة من الماء ليعطيها القرط.

سادساً: أما النوع الأخير فهو المراكب الشمسية وهى أيضاً مراكب رمزية، واحدة لرحلة النهار أطلق عليها المصرى القديم اسم "معنجت" وأخرى لرحلة الليل أطلق عليها اسم "مسكتت". وهذا النوع كان يستعمله الإله "رع" فقط كى يبحر بها وتجدف له النجوم وتستعمل هنا المجاديف ذوات السنون المدببة لقتل الحيوانات والأرواح الشريرة الموجودة فى العالم ليفنى الشر وبالتالى يعترف بفضله الشعب ويعبده.

كمال الملاخ وقصته مع مراكب خوفو

ما أكتبه هنا يدخل فى إطار البحث عن الحقيقة إنصافاً للحق وللتاريخ. وحقيقة هذا الكشف، هل هى مراكب جنائزية أم شمسية ؟ فوجئت بالصديق مصطفى النجار – رئيس قسم السياحة بجريدة الأهرام –، يتصل بى ليبلغنى بأن "كمال الملاخ" قبل وفاته بأيام قليلة كتب له بخط يده ما يشبه الوصية أو التأريخ إن أردنا أن نتحرى الدقة فى حقيقة كشف مراكب الشمس، وطلب منه أن يكون ما يكتبه بخط يده بمثابة شهادته للتاريخ فى فترة كان يشعر فيها أن البعض يحاول أن يسلب منه حقه للكشف عن مراكب الشمس، وقد أرسل لى الصديق "مصطفى النجار" ما كتبه الملاخ بخط يده فرأيت أن الأمانة العلمية تقتضى أن أعرضه بالكامل دون أدنى تدخل منى حيث إن هذا الكشف يستحق منا كل الاهتمام بصحته العلمية والتاريخية مثل الاهتمام بكشف مقبرة الفرعون الذهبى "توت عنخ آمون".

فماذا قال الملاخ فيما كتبه بخط يده قبل وفاته عن مراكب خوفو:

"كان لمصر النصيب الأكبر فى عجائب الدنيا السبع لعالمنا القديم.هكذا كان عددها، وكان لمصر أثنتان منها: وهى: الهرم الأكبر. ومنارة الإسكندرية بينما كان هناك عجيبة واحدة لكل من الحضارات القديمة المتناثرة عندما ذكروا : تمثال الإله زيوس فى أوليمبيا، وضريح هاليكارناس، وحدائق سميراميس فى بابل، ومعبد الألهة آرتميس فى أفسوس، وتمثال رودس العملاق.

وكان من السهل إضافة أكبر كشفين حدثا فى القرن العشرين لو تم الكشف عنهما فى العصور العتيقة، وبذلك كان يصبح لمصر أربع عجائب تعكس فكر وفن وعلم وعقيدة دنيانا القديمة: وهما:

مقبرة توت عنخ آمون: والتى كشف عنها البريطانى "هيوارد كارترHoward Carter" فى ٤ من نوفمبر عام ١٩٢٢ أى من نحو ٦٥ سنة وذلك فى وادى الملوك فى جوف جبل القرنة غرب نيل الأقصر التى تبعد جنوب القاهرة الكبرى بحوالى ٧٢٠ كم .

مراكب الشمس : والتى تم الكشف عنها فى بداية الخمسينات جنوب و شرق الهرم الأكبر، منقورة أماكنها فى فجوات داخل صخر ربوة أهرام الجيزة.

وللكشف قصة بدأت منذ عام ١٩٥٠ م بعد أن رممت لأول مرة المقابر الملكية التسعة فى المنطقة

9 الفصل السابع

واعنى بها الأهرامات من الداخل والخارج مع عشرات من مقابر الأمراء والنبلاء والأشراف شرق الهرم وكبار موظفى الأسرات من الرابعة وحتى السادسة غرب هذا الهرم وأبى الهول الذى رممته أيضاً بعد أن كشفت عن أول كوبرى فى التاريخ جنوب المنطقة.

إذ تعتلى الربوة ثلاث أهرامات ضخمة وهى مدافن "خوفو" و "من-كاو-رع" وبينهما "خا-اف-رع" ولكن كان هناك سبع أهرامات أنثوية أصغر حجماً ، تلاشى منها إحداها وهو الذى كان كائن جنوب الهرم الثانى عندما أستغل كتله أهالى القرى المجاورة وأيضاً بعض الفراعنة الذين عاشوا فى الدولة الوسطى. أما الستة الباقية فثلاثة منها جنوب الهرم الأصغر لـ "منذ كاو-رع" وثلاثة أخرى جنوب شرق الهرم الأكبر وكلها للملكات.

كنت بدأت حياتى مهندساً معمارياً ثم أكملت دراستى العليا فى الآثار المصرية وعقائدها وفقه لغتها القديمة ونقوشها. وقد بدأت صلتى بالآثار منذ عام ١٩٤٤م، وعملت فيها ولها كثيراً منقباً ومرمماً ومكتشفاً ومحاضراً وأستاذاً متخصصاً راعياً لحضارتنا القديمة، ذلك إلى جانب اشتراكى فى المشروعات الكبرى لتطوير متاحفنا وإنقاذ آثار النوبة والأقصر والأشمونين وسقارة والجيزة والقاهرة والدلتا والواحات والصحراء الغربية والشرقية ومشروعات الصوت والضوء لأهرام الجيزة والكرنك وجزيرة فيلة فى نيل أسوان.

وذلك إلى جانب هليوبوليس (أون) أول عاصمة عقائدية فى مصر وعملت على ترميم أبا الهول وكذلك رممت لأول مرة أهرامات الجيزة من الداخل والخارج ومعابدها الجنائزية والخاصة بالوادى. ومن هنا لاحظت حفر لفجوات غير تلك التى تصل دائماً بين عنصرى أى مقبرة وهى الأبار التى تصل المصطبة فوق سطح الأرض بعمق المدفن المنقور فى الصخر تحتها وهى الخاصة بصعود الروح إلى بارئها ومشاهدة بهاء الشمس ثم العودة.

كان بعض هذه الفجوات شرق الهرم الأكبر مكشوفة من غير أسوار تحميها.

هنا بدأت أدرس الفجوات لأحميها من رديم الرمال وأيضاً لتكون درعاً واقياً لأى زائر للمنطقة.

وما أن أنهيت مهمتى هذه حتى فكرت لماذا لا أجد فجوة للمركب ما بين الهرم الثانى الأنثوى والثالث للملكة "حنوتسن" فى تلك المجموعة الثلاثية الصغيرة جنوب شرق الهرم الأكبر، وكان ذلك فى فبراير ١٩٥٢ نقبت حتى كشفت عن فجوة لمركبها لم تكن معروفة ولا مذكورة من قبل لهذا الهرم الأنثوى الأوسط وطولها الممتد من الشرق إلى الغرب ١٧,٥ متراً إلا أن هذه الفجوة للأسف كانت قد استغلت فى عصور تالية لثلاثة دفنات أنتُهكت بدورها وأن كنت قد عثرت على جزئيات خشبية بسيطة جداً ولما كانت هذه الفجوة ممتدة بحيث تقطع طريق الزائر والمتجهة من الربوة إلى سفحها لمشاهدة أبا الهول.. فقد سجلتها علمياً ثم ردمت الفجوة. وليس هناك شك فى أن هذه الفجوة كانت لمركب رمزى إذ كان عرضها ضئيلاً جداً. والذى بقى من هذا الهرم المربع القاعدة (٤٥×٤٥ متراً) والذى لا يزيد ارتفاعه عن ٩ أمتار وزاوية ميل أسطحه الأربع ٥٢ درجة.

هنا زادت عندى دراسة الفجوات الخاصة بمراكب الشمس، وأصبحت واثقاً بأنه يجب أن تكون هناك خمس فجوات حول الهرم الأكبر تخدم فكرتها ووجودها سواء واقعياً أو رمزياً إذ أن ثلاثة فجوات منها مازالت خاوية تماماً شرق هذا الهرم، فأين إذاً الفجوتين الناقصتين؟

كانت فكرتى حسب العقيدة المصرية :

أن الهرم الأكبر ما هو إلا جبل صناعى متقن التصميم أقامه المهندس المصرى بكل ممراته وفراغاته ليصبح مثوى مستقر منيع لحفظ الجسد محنطاً باقياً مصاحب الزمان.

ولكن فى اعتقادهم أيضاً ونصوص متون الأهرام أنه ليس بالجسد فقط يحيا الإنسان حتى لو كان فرعوناً، وإنما بالروح أيضاً. وهنا يجب أن تكون فى خدمتها خمس فجوات، ليحقق المتوفى أن تتصل روحه بالفضاء إذا ما أرادت أن تتنزه فى الاتجاهات الأربع للسماء:شمال إلى جنوب .. أو من شرق إلى غرب، أما الفجوة الخامسة فهى لزيارة الروح إلى المدينة المقدسة "أون" التى جاء ذكرها فى النصوص العقائدية وأيضاً فى التوراة، العديد من الممرات، بعد أن ذكرت فى عقيدة البعث حين أنبثق نور السموات والأرض لأول مرة من بحيرتها ذات الماء الأزلى "نون" وظهرت فجاءة أرضاً مدببة – مثل جزيرة هرمية – فوقها بيضة سرعان ما انشقت وخرج منها طير صاح وما لبث أن تحول إلى وهج يرتفع

الفصل السابع 9

فى السماء فأصبح قرصاً للشمس ومن هنا أتخذ المصرى القديم لهذا الضوء الذى ملأ الأفق رمزاً هو دائرة الشمس(رع).

ولهذا نجد فى الشرق من الهرم الأكبر ثلاث فجوات، فجوتان ضخمتان ومازلت أعتقد أنهما كانا بلا سقف: رمزيتين.. محور كل منهما يتجه من الشمال إلى الجنوب ..حول المعبد الجنائزى للهرم التى مازالت بعض بقايا أرضية المعبد البازلتية السوداء كائنة ! (شكل ١٩).

أن الفجوة الثالثة وهى ليست عمودية على ضلع هذا الهرم الشرقى.. وإنما وترية الاتجاه المائل إلى الشمال. وهى تمثل مركب الشمس المتجه بالروح إلى زيارة المدينة المقدسة "أون". حيث بداية الخليقة.

إذاً فأين الفجوتين الناقصتين واللتين تمثلا اتجاه الفضاء فى خط يتجه من الشرق إلى الغرب أو العكس. وفى تصورى أنه طالما أن هذا الاتجاه هو طريق حياة الشمس كل نهار حيث تولد من ذاتها كل فجر عند مشرق الدنيا - حسب العقيدة - وتضئ حتى تختفى غرباً ولا تموت لتشرق من جديد فى الصباح التالى بعد أن تكون قد عبرت ما تحت الأرض "إيمى دوات". وهم يعنون بهذا التعبير "العالم السفلى". ومن هنا أتخذ المصرى القديم الغرب مكاناً لمدفنه ليؤكد الأمل فى ارتباطه مع رحلة الشمس. وأن لا نهاية لرحلته الأبدية .

من هنا جاءت فلسفة مركبتى الشمس واحدة لرحلة النهار وكانوا يسمونها " معنجت" والثانية لرحلة الليل "مسكتت" أما رحلة الأبد والخلود عندما تمتطى روح "خوفو" - صاحب الهرم الأكبر - كل منهما فى رحلة موكب النور خلف رع رب الأرباب... هناك أمل أن تتحد روحه مع رع... بما أنه أضاف منذ فترة الأسرة الرابعة لقباً خامساً هو "سا-رع" أو أبن الشمس. هنا سيتحد بعد وفاته ليصبح بعضاً من أبيه الشمس... الذى يعتقد المصرى القديم... أنه بعد أن تولد الشمس من ذاتها وتضع وليدها الشمس الجديدة على جزيرة شرق عالمنا تسرع إليه الأرواح الطيبة والتى على هيئة قناديل نجوم براقة متلألئة فى السماء لتغسلها من زرقة عالم الليل ثم تضع على كتفيها رداء أحمر .. ما تلبث أن تتحرك حابية على أربع كطفلاً وليداً فوق سطح مركب من الذهب الخالص تصفه الأسطورة العقائدية بأن

طوله ٧٠٠ ذراعاً مصرياً- وكل ذراع يقيس ٥١,٥ سم أى أن طولها نحو ٣٥٠ متراً.

هنا يسمونه "نفر تم" أى زهرة الصباح المتفتحة.

وما يلبث أن يكبر فوق المركب الذهبى إلى السماء ليصبح فى زهرة شباب العمر قوى يتحرك على ساقيه ويسمونه هنا فى أكمل صورة "رع" عندما يعلو تماماً قمم الأهرام والمسلات حيث لا ظل ولا ظلال أنما : المنتهى . ثم يتجه مع انحناءة السماء نحو الغرب حيث يظهر منحنى الظهر مستعيناً بعصا يتكأ عليها وهنا يتغير أسمه للمرة الثالثة أى"أتوم": رب الشمس عند الغروب. وعلى المركب أن تجتاز ١٢ بوابة فى النهار و١٢ بوابة أخرى فى الليل. ومن هنا كان أول تقسيم لليوم إلى ٢٤ ساعة.

إذن أين الفجوتان الناقصتان؟ .. بدأت رحلة الدراسة والبحث والتنقيب حتى رأيت أن أبحث عنهما جنوب الهرم الأكبر تحت ما يسمى سور "هزيل" هو فى الحقيقة تجميع لبقايا أحجار مختلفة من جرانيت قاتم أو وردى أو أحجار جيرية من المنطقة أو مجلوبه من تلال المقطم على الشاطئ الشرقى للنيل أو حجر رملى أو بازلت أو الباستر مرمرى أو فخار .. وكان طرفى هذا السور واضحين إلى حد ما بارتفاع لا يزيد عن ٢٠ سم إلى المتر تحت رديم يغطى بعض المصاطب الأميرية جنوب السور .. مرتفعاً بميل نحو الناحية الجنوبية للهرم الأكبر فاضطريت إلى إزالة كميات ضخمة منه حجمها نحو ربع مليون متر مكعب ، خلال عام ونصف على دفعتين حتى ظهر السور بأكمله بطول ٢٢٠ متراً موازياً تماماً للضلع الجنوبى للهرم الذى كان بطول ٢٣٠ متراً وأصبح ٢٢٧ متراً لنزع أحجار الكساء الخارجى وزاوية الهرم ٥١,٥٠ درجة ويبعد السور عن الضلع ١٧,٨٥ متراً.

لفت نظرى فى هذا السور الذى كان رآه قبلى العالم الألمانى "هيرمان يونكر Hermann Junker" قبيل الحرب العالمية الأولى ومشى بجانبه ولكنه لم يأبه به فخانه حظه فى أن يعرف الغرض منه وما يخبئ تحته.

سألت نفسى عندما شاهدت السور ... معقول معمارياً أن نجد تلك الطبقة "اللياسة" من الطين تكسو جانبيه جنوباً وشمالاً لإخفاء ما يحتوى من "رصة" وليس ببناء مناسب لعمارة الهرم.. لكن لماذا

الفصل السابع 9

امتدت هذه الطبقة الطينية على سطح الأرض الحجرية التى ترتفع نحو ربع المتر عن ساحة الفناء الذى يلتف به الهرم الأكبر. فمن غير المعقول أن نفرش مادة (هشة) مثل الطين لتغطى ربوة الهرم الحجرية.

إذن هنا الخيط الأول للإخفاء والتمويه.

ازداد بحثى على طول جانبى السور. فعثرت على المفتاح الثانى لبداية كشفى .. ذلك أننى أحسست عندما أزحت هذه المادة الطينية الهشة... بعض من هذا التمويه على إخفاء جديد .. ذلك إن المادة تحتها ليست ربوة طبيعية وإنما أرضية صناعية أخطأ فيها المهندس القديم لما جعل عماله يطحنون بقايا من أحجار جيرية مجلوبة من جبل المقطم شرق النيل هو (الحجر المقدس) الذى كانوا يقطعون منه كتل الكسوة الخارجية للهرم لأنه أكثر بياضاً وثقلاً مثل مرآة ومن هنا اتخذوا للهرم الأكبر اسم (آخت) أى المتلألئ وكأن روح خوفو تشع منه على ما حولها وكأنه يحمى شعبه حياً وميتاً وخالداً. إذ أن معنى اسم (خوفو) صاحب مدفنه الهرم الأكبر يعنى (الذى يحمى).

كان ملمس الربوة ناعماً وليس خشناً هنا أيقنت تماماً أننى سأجد فجوتى المركبين تحت هذا للإخفاء وكان سمكه يتراوح نحو ٢٠ سم. وفعلاً جعلت عمالى يحفرون هنا وهناك على امتداد السور .. فوجدت فواصل جبسيه وردية هى مونة الدولة القديمة خاصة عهد الأسرة الرابعة وخوفو ثانى حكامها يعد والده "سنفرو" مؤسسها.

ثم كشفت عن أول كشف مزدوج فى التاريخ عن الفجوتين فى آن واحد وكان ذلك فى ٢٦ مايو ١٩٥٤.

٤١ كتله تغطى المركب الشرقية و ٤٠ كتله تغطى الفجوة الغربية بينما هناك حجر زاوية لكل منهما متلاصقين فوق قاطوع فاصل لا يزيد عن ٣,٧ متراً أى أقل من ٤ متر .. وهو عمودى على محور منتصف هذا الضلع الجنوبى من قمته حتى ما بين حجرى الزاوية .. حيث لا ظل ولا ظلال وإنما المنتهى. وكانت كل فجوة بطول ٣١,٢٠ متراً وطول كل حجر ٤,٨٠ متراً وعرضه نحو ٨٠,٦ سم وارتفاعه ما بين ١,٦٠ إلى ١,٨٠ متر متوسط وزن الكتلة نحو ٢٠ طن أى أن وزن سقف كل فجوة لا يقل عن ٨٠٠ طن من الحجر الجيرى المقدس.

عزمت أن أفتح الفجوة الشرقية على أن أبقى عملية فتح الفجوة الغربية إذ أنها أول مرة نجد مركب شمس وكنت أخاف على ترميمها وصيانة الكشف بمنتهى الدقة.

اخترت الكتلة رقم ٢٠ لأنحت طرف منها خلال ٣ أيام إلى أن وصلت إلى شفة عرضها متر منحوته على كل جانب من الحفرة. لم أرى ما بداخلها إلا سواداً أنعكس من شدة بياض الحجر الجيرى المقطوع وكان الوقت ظهراً قرب نهاية مايو مع بداية صيف ١٩٥٤ هنا أغمضت عينى لمدة ثانية لأستجمع أعصابى ولافتحها من جديد لا يمكن رؤيتها جيداً. فى هذه اللحظة تنسمت ما لا أنساه ما حييت عبقاً مقدساً مثل ذلك الذى نتنسمه فى الكاتدرائيات أو الجوامع الكبرى وكأنه بقايا عبق مسك وبخور وضعه القدماء .. حتى يضمنوا ابتعاد الحشرات القارضة التى قد تصيب الخشب .. تنسمت ٤٦٥٠ سنه من التاريخ !!

وهنا لمحت أيضاً عندما فتحت عيناى عن سبليوت محتويات المركب أيضاً ألواناً تركوازيه من نحاس سيناء كانت لفواصل ينفذ من خلالها المزلاج الخشبى للكابينه الكبري.

أغلقت الفتحة فوراً.

أن سمك السقف ١,٨٠ متراً.

وعرفت عن طريق المرايا التحتيه العاكسه أن بطن كل كتله تؤلف السقف .. منسوخ عليها بالحروف الكبيرة أسمى "خوفو" وولده (جدف- اف- رع) .. الذى قام باستكمال كل ما يتصل بدفنته وباستكمال عناصر الهرم والخلود .. وإلى جانب الأسمين وبالذراع المصرى مدون أرتفاع وعرض طول كل كتلة منها بالمقياس المصرى القديم. وهى تظهر لأول مرة على مجموعة الأهرام.

أغلقت الفوهة فوراً ثم أقمت على وجه السرعة مأوى خشبى وبنيت معملين كبيرين حتى يتسنى للمرممين وعلى رأسهم د. ذكى أسكندر وأحمد يوسف أن يباشرا عملهما فى معالجة كل جزء من ١٢٢٤ قطعة كانت تتكون منها المركب. وكان منقوشاً فى طرف كل قطعة أين تقع وفى أى ركن من أركان المركب ستكون وذلك بالهيروغليفية وأحياناً بالديموطيقية . وكانت هذه الأجزاء مرصوصة على أربعة

عشر رصة أو طبقة وتحتها مخدات حجرية لتمنع تسرب الرطوبة إليها كما كانت كتل الصخر تحميها طوال سبع وأربعين قرن من تأثيرات تقلبات الجو والرياح وتسرب المياه إلى الحفرة. وظهر فيما بعد أن طول المركب ٤٤ متراً أنكمش مع الزمن فأصبح ٤٣,٤ متراً وأقصى عرضاً لها ٥,٩ متر فى وسطها. ومقدمتها ترتفع ستة أمتار ومؤخرتها ٧,٥٠ متراً. وتعلوها مقصورة يعتمد سقفها على ثلاث أعمدة خشبية مستديرة ذات تيجان نخيلية الطراز وهذه المقصورة مزدوجة السقف وعند مقدمتها سقيفة تستند إلى صفين من قوائم كهيئة أعمدة الخيام تنتهى بيراعم البردى وكانت بمثابة مظلة لربان من الخشب تمتد كتلة واحدة من خشب الأرز ٢٣ متراً أى أن جذوع الخشب كان لها عمر سبعة آلاف سنة قبيل قطعها البناء المركب. إذاً فعمر المركب نحو ١٢ آلف سنة.

المركب لها ١٢ مجداف خمسة منها مدلاه على كل جانب منقوش على طرف أربعة اكف منها شكل "حربة" لتستعمله أرواح البحارة الغير مرئيين للدفاع عن سلامة رحلتها فى الأفق فى المياه الأزلية لمحيط السماء ضد وحوش الفضاء بقوة السحر ، وذلك غير مجدافين فى مؤخرة المركب كانا يستعملان لتصحيح مسارها مثل: الدفة .

المركب مزودة بمدارة لجس الأعماق ودفعها بعيداً عن الجزر الرملية أو الشواطئ غير مطرقة خشبية ووتدين. وقد اتخذت الهيئة النباتية من زهرتى ونباتى مصر : اللوتس والبردى وهى دفينة متجهة بمقدمتها نحو الغرب، لتتحد مع الشمس عند اختفائها وفى موكبها الأبدى تتحرك مع المركب الكائنة فى الفجوة الغربية التى كشفت عنها وتحوم حولها الآن البعثات الأجنبية محاولة معرفة ما بداخلها وهى فى رأيى تمثل أيضاً المدفن الجنوبى لروح خوفو العظيم (شكل ٢٠).

التعليق:

هذا هو نص مقال الراحل "كمال الملاخ"، وسنجد أن البعض يؤيد "كمال الملاخ" فى كشفه، والبعض الأخر سوف ينفى كشفه. وبصفتى أثرياً أحرى الحقيقة فيجب أن أشهد شهادة للتاريخ فى الوقت الذى رحل عنا أبطال هذا الكشف، وأقرر أن كل الأدلة تشير إلى أن "كمال الملاخ" هو مكتشف المراكب.

وما دمنا مع "كمال الملاخ" فالذكريات والأحداث التى تجمعنى به كثيرة ومتعددة وفى أكثر من مكان.

فحينما كنت فى أحد فنادق مدينة "دنفر" بولاية كلورادوا بالولايات المتحدة الأمريكية، رن جرس الهاتف فى السادسة صباحاً وأنا نائم بحجرتى. وكان المتحدث على الجانب الآخر "دوريثا الملاخ" زوجة الدكتور "رجائى الملاخ" شقيق الراحل "كمال الملاخ" وقالت دوريثا: "كمال الملاخ رحل عن الدنيا منذ ساعة واحدة". وعلى الفور وجدت الدموع تنهال من عينى بسرعة غريبة.

وبدأت أتذكر تلك المكالمة التليفونية التى دارت بينى وبينه قبل يومين فقط من رحيله، حيث كنت فى طريقى إلى مدينة "دنفر" لحضور افتتاح معرض للملك "رمسيس الثانى". والذى طاف اكثر من عشر مدن أمريكية، وكان يضم العديد من القطع الفنية الفريدة التى تمثل جزء من روائع الفن المصرى القديم.

وفى ليلة سفرى تحدثت مع الراحل أكثر من ساعتين حتى تجاوزت الساعة الثانية عشرة مساءاً، وهو الذى تعود طوال حياته أن ينام قبل العاشرة مساءاً، وكان حديثه لى كله شكوى وألماً وحسرة على جحود الأصدقاء، وخوفه على ابنه الوحيد الذى سوف يضيع منه. وأعنى هنا مركب "خوفو" التى كشفها عام ١٩٥٤ واعتبر وقتها من أهم الاكتشافات الأثرية بعد الكشف عن مقبرة الفرعون الذهبى "توت عنخ آمون". وكانت شكواه رحمه الله، أن هناك مشروعاً علمياً يشرف على تنفيذه الدكتور"فاروق الباز" بالتعاون مع الجمعية الجغرافية، وذلك للكشف عن حفرة المركب الثانية ومعرفة ما تحويه هذه الحفرة، بالإضافة إلى القيام بعمل تجارب للحصول على عينة هواء سليمة من داخل الحفرة، وسوف تظهر هذه العينة حالة الجو الذى كان سائداً منذ ٤٥٠٠ سنة، ويمكن عن طريق هذه الدراسات العلمية إيجاد حلول ترميمية للحفاظ على المواد العضوية مثل الأخشاب وغيرها داخل المتاحف.

وتم تشكيل فريق عمل علمى من المصريين والأجانب للقيام بهذه الدراسات، وكان حزن "كمال الملاخ" بسبب عدم وجوده ضمن هذا الفريق. وظل يشكو كثيراً، ويعرض قضيته، وقابل الوزير المختص فى ذلك الوقت، بل وقابل الكثير من المسئولين، لكن دون جدوى. فى الوقت الذى كانوا يلهثون وراء

9 الفصل السابع

ويطيعون أوامره بل وينافقونه أيضاً وهو مسئولٌ عن الصفحة الأخيرة بجريدة الأهرام. أما هو فعلى المعاش ولا يوجد ما يقدمه لهم. لذلك تركوه يشكو دون أدنى إجابة منهم.

واشتمل حديثى معه على العديد من الموضوعات، وكيف أن المركب ضاعت منه وهو الذى أفنى عمره من أجلها، وحاولت جاهداً أن أهدئه فقلت له: "إننا يجب أن نتعلم من القصص المصرى القديم، وإن الحق لا يضيع أبداً". وذهب كلامى كله أدراج الرياح لأن "الملاخ" أحس أن المركب أو أبنه سوف يبعد عنه وأنها لم تعد ملكاً له، وأن هذه الأبحاث التى تُجرى بالحفرة الثانية سوف تتم دون وجوده. لذلك عندما سمعت خبر وفاته بعد يومين فقط من هذه المكالمة التليفونية حزنتُ حزناً شديداً.

وقابلت بعد ذلك على الإفطار صديقى الراحل "جمال مختار" الذى كان يعتبر من اخلص أصدقاء الملاخ، ويومها قال لى إن كمال كان يود منى الوقوف بجانبه كى نحارب سوياً أعدائه وقال مختار: "كيف أقوم بذلك وأنا لا أحارب أعدائى". كان المرحوم "كمال الملاخ" محارب من الطراز الأول، عنيف فى خصامه، على الرغم من أنه يحمل قلب طفل صغير، وعلى العكس كان "جمال مختار" لا يحب الخوض فى مثل تلك الصراعات.

وبدأت أعود بالذاكرة للورا ء، فعندما بدأت عملى بحقل الآثار قابلت "كمال الملاخ" لأول مرة وانبهرت بشخصيته، ومنذ اللقاء الأول شجعنى الملاخ على العمل وكنت أذهب لجريدة الأهرام لمقابلته، وكنت أقوم وقتها بأعمال الحفائر بموقع "كوم أبو بللو" بالبحيرة؛ حيث كان هناك مشروع لإنقاذ الآثار من مسار ترعة الرياح الناصرى، وكشفنا عن جبانة ضخمة يرجع تاريخها إلى العصر الفرعونى وممتدة حتى العصر الرومانى، وكانت الاكتشافات التى نقوم بها تملئ الدنيا بالأخبار، ويومها أطلق الملاخ علىّ لقب "الأثرى الشاب".

وبدأ الملاخ يقدمنى لأصدقائه، فقد قابلت شخصيات لم أتصور أن أقابلها فى يوم من الأيام. فقابلت "توفيق الحكيم" و"أنيس منصور". وكان يقدمنى على أننى صديقه.

كان كمال الملاخ شعلة من النشاط، فعندما يمشى فى شوارع القاهرة فهو كأنما فرعون خرج من مقبرته؛ يسير بعزة وقوة وشموخ. وكان صديقا لكل نجوم المجتمع، فهو الذى وهب حياته للفن

والآثار والصحافة، وكان مبدعاً خلاقاً، وهو أيضاً صاحب فكرة مهرجان السينما فى كل من القاهرة والإسكندرية، ومهرجان الأفلام التسجيلية للفنون الأفريقية بأسوان، وبينالى القاهرة. واستطاع الملاخ أن يجعل جريدة الأهرام تُقرأ من الصفحة الأخيرة فكان يكتب العنوان لصفحة "من غير عنوان" بخط يده. واستطاع الملاخ أن يقدم الآثار بأسلوب سهل وشيق، حتى أنه استطاع أن يجعل للآثار عُشاقاً، وهو الذى جعل لها أيضاً أبواباً ثابتة فى الإذاعة والتليفزيون، وأتذكر تلك البرامج الخفيفة التى كانت تُسجل معه فى رمضان، فقد كنت أشعر فى كلامه بأنه العاشق الولهان بالآثار. وكان عندما يتحدث عن "نساء الفراعنة" كأنما يتحدث عن حفيدته فيصف جمالها بأسلوب جذاب ممتع رقيق يجعلنا نعيش فى خيال هذا العالم العجيب.

والملاخ كان معتزاً بنفسه جداً ونتيجة لذلك نال احترام الجميع فى "جريدة الأهرام". ولازلت أذكر تلك الواقعة التى حدثت منذ أكثر من ٣٠عاماً، فقد كنت ذات يوم جالساً بجواره على الأريكة أصغى لما يقول، حيث يتحدث عن أحلامه بالنسبة للآثار، وكنت صغيراً منبهراً به وبصداقته، فخوراً بها، فكيف لهذا العملاق أن يجلس كل هذا الوقت مع شاب مازال يخطو خطواته الأولى فى عالم الآثار. ودخلت علينا يومها فنانة شهيرة وقابلها الملاخ بكل احترام، ولكنه قال لها إن موعدك بعد خمس عشرة دقيقة أرجو أن تنتظرى فى الحجرة المجاورة حتى أنتهى من الحديث.

وسجل لنا "فايز فرح" فى كتابه (شخصيات مصرية وأفكار عصرية)، معلومات هامة عن قرعون مصر الراحل. فقد ولد الملاخ فى ٢٦ أكتوبر عام ١٩١٨ فى صعيد مصر بمحافظة أسيوط. وأنتقل والده للعمل بأحد البنوك، ونتيجة لذلك تلقى تعليمه الابتدائى بالمحلة الكبرى، وعاد بعد ذلك مع والده للقاهرة، وألتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية، حيث بدأت تظهر مواهبه فى الفن الرسم، وأقام أول معرض للوحاته بالمدرسة وهو لا يتجاوز الثالثة عشرة، وافتتح المعرض الكاتب الكبير "أحمد الصاوى محمد" وكتب يقول:

"آلا ليت الشباب يعود يوماً فاخبره بما فعل المشيب".

وكان يمارس ميوله الصحفية بمجلة المدرسة فكان رسامها وسكرتير تحريرها. وألتحق ابن أسيوط بكلية الفنون الجميلة قسم العمارة، حيث بدأ يصقل موهبته فاستمر يزاول الرسم، واستطاع أن يشترك فى

معرض مع اثنين من كبار الفنانين وهما الفنان القصصى "كامل التلمسانى" والشاعر "جان موسكايتللى" الذى ولد فى مصر وعاش أغلب حياته بفرنسا وإيطاليا.

وقبل افتتاح المعرض لمعت فكرة جريئة فى ذهن الشاب الصغير الذى لم يتجاوز عمره السادسة عشر عاماً، أن يدعو شخصية كبيرة معروفة مقيمة فى الفيلا المقابلة لكلية الفنون بالزمالك، وهذا الجار كان الدكتور "طه حسين"، وحضر المعرض العديد من الشخصيات الهامة فى عالم الفن والثقافة، وظل "كمال الملاخ" منتظراً للضيف الذى دعاه، وهو لا يتوقع قبول دعوته. وجاء "طه حسين" وطاف به الملاخ شارحاً لوحاته، وكانت هذه أهم لحظة فى حياة الشاب الصغير وهو يسير بجوار عملاق الأدب العربى والكل ينظر إليه، معجبين بشجاعته ورباط جأشه فى شرح المعرض وهم يعلمون أن "طه حسين" جاء من أجل هذا الشاب.

وفى عام ١٩٤٣ تخرج فى كلية الفنون الجميلة وبدأت موهبة الكتابة فى الظهور، حيث كتب (حكايات صيف)، وكانت كتاباته عبارة عن تلغرافات سريعة ذات رنين موسيقى، ومعنى جميل فكتب يقول فى هذا الكتاب:

"فى ربيع العمر، نتعلم من كل لحظة، من كل نظرة، من كل كلمة نقرأها، وكل همسة نغم أو حوار حتى كل ضحكة وابتسامه، كل حركة حتى من النحل والنمل نتعلم، فلو تأملنا وتعمقنا. . . إننا فى هذا العمر الأخضر . . . نحتوى . . . نعبئ النفس والروح. وننبهر بالموهبة. . . ننهل من لمعة كل فكر. . . تلتهب من كل حس. . . نلتهم ما نقرأ . . . نمتص ونرشُف كالفراش من كل زهرة متفتحة . . . جذابة اللون زكيه الرائحة . . . نفيد من كل شاردة أو واردة . . . من كل تفاصيل واقع نحياه . . . أو . . . خيال نتوهمه . . . تتفاوت النسبة بيننا. كلٌ حسب قدرة المرسوم. وبيئته. وموهبته. . . ".

والتحق الملاخ بكلية الضباط الاحتياط وهو معيد بقسم العمارة بالكلية، وبعد أن قضى فترته العسكرية عاد للكلية، وجاء فى هذه الأثناء عميد للكلية حوّل حياة الملاخ كلها. وتقابل مرة أخرى

مع "طه حسين" الذى كان يعمل مستشاراً فنياً لوزارة المعارف. وقال له "طه حسين" إنه سمع بموهبته من "توفيق الحكيم" وطلب منه أن ينميها بدراسته للآثار، وهنا أنقل العبارة التى وردت فى كتاب (شخصيات مصرية)، وسمعتها كثيراً من الملاخ رداً على طلب "طه حسين" فقال: "وأنا مالى والآثار، وقد عقدت العزم على أن أكون مع الأيام أستاذاً للعمارة والفن". ولكن العميد قال: "وهل الآثار إلا عمارة وفناً. بل وأكثر؟".

وفعلاً ألتحق الملاخ بالجامعة لدراسة الآثار للحصول على دبلوم عالى فى الآثار المصرية مثل كل العلماء الأوائل أمثال "سليم حسن" و"أحمد بدوى" وغيرهم، وبعدها ألتحق كمال الملاخ أيضاً مهندساً ومديراً للأعمال بمناطق الآثار، وهو يدرس الآثار بعد الظهر. وقد عمل فى أماكن كثيرة فى صعيد مصر ودلتاها، واستقر أخيراً مديراً للأعمال بمنطقة الهرم، وفى هذه الفترة طلب منه "أحمد الصاوى محمد" أن يعمل رساماً بجريدة الأهرام، وعين وقتها شاب آخر وهو "أنيس منصور"، وبدأت رحلة صداقة وحب قوية بين الاثنين حتى إن الملاخ كتب يقول: "ربما كنا واحداً انقسم إلى اثنين تجمعنا فى واحد". وتشاء الأقدار أن أصبح صديقاً لأعز أصدقاء الملاخ وهما الكاتب الساخر الكبير "أحمد رجب" و "أنيس منصور"، وأسمع منهما حكايات وقصصاً طريفة عن علاقتهما بالملاخ فعرفت منهما تفاصيل الكشف عن "مراكب الشمس".

ومن اجمل ما قاله "أحمد رجب" إن "كامل الشناوى" كان يقول عن الملاخ: "يبدو طويلاً عملاقاً وهو قصير ويبدو ذى شعر طويل وهو قصير". وكان يعنى بذلك أنه معتد بنفسه، فهو عملاق بشخصيته، وكان شعره يعطيه شكلاً فريداً، حتى أن "أحمد رجب" كان يطلق عليه اسم "الإله رع".

وأستمع أسبوعياً فى صالون "أحمد رجب" لمعلومات عن شخصية الملاخ تسعدنى كثيراً، فكان رحمه الله يتكلم كالدبلوماسى القدير، وكان يستعمل كلمة "Merci " كثيراً، ومن ضمن الدعابات التى قالها "كامل الشناوى" أن "كمال الملاخ" نزل من القطار بمحطة سيدى جابر فقال له سائق التاكسى سيدى بشر فرد عليه الملاخ "لأ سيدك أنت".

الفصل السابع 9

وظل الملاخ يرسم بجريدة الأهرام وهو يكتب فى النقد الفنى، وكان يكتب ركناً يومياً للفن يوقعه باسم "القناع الأبيض".

وفى هذه الفترة تم الكشف عن "مراكب الشمس" بمنطقة الأهرام فى ٢٦ مايو ١٩٥٤. وكان وقتها "كمال الملاخ" يعمل مديراً لأعمال آثار الهرم، وهو يحمل درجة الماجستير فى الآثار المصرية وكان أمين المنطقة "زكى نور"، وكان الملاخ مكلفاً بإزالة الرمال والأتربة الموجودة فى الجانب الغربى لهرم الملك "خوفو". وفى العمل الأثرى دائماً الريس الفنى للعمال هو المسئول عن العمل، حيث كان الريس "جرس ينى" هو الذى يعمل فى هذه المنطقة ويشرف على العمال فى إزالة الأتربة تحت رئاسة "كمال الملاخ".

ويروى الكاتب الكبير "أنيس منصور" أنه كان يجلس يتناول الغداء مع صديقه الملاخ و "موريس جندى" مراسل وكالة "United Press" فى مطعم "الأكسلسيور" بالتحرير واتصل "ينى" بالملاخ ليخبره عن الكشف، وعلى الفور استقلوا جميعاً السيارة متجهين إلى منطقة الهرم، وأثناء الطريق احترق موتور السيارة، وهنا قال الكاتب "أنيس منصور" يبدو أن لعنة الفراعنة بدأت مع الكشف. ووصلوا إلى مكان الكشف فى جنوب هرم الملك "خوفو" مباشرة ووقف الملاخ بجوار الحفرة التى تقع فى الناحية الجنوبية الغربية وكان معه مرآة فشاهد من خلالها ما هو موجود داخل الحفرة من أخشاب متراصة فوق بعضها البعض، وهنا قال "كمال الملاخ" أنه كشف "مراكب الشمس".

واستطاع "حمدى فؤاد" الذى كان يعمل المحرر الدبلوماسى لجريدة الأهرام آنذاك أن يرسل خبر الكشف إلى "كينث لف Kenieth Love" مراسل New York Times فى مصر وانقلبت الدنيا كلها. وفى نفس العام كشف "زكريا غنيم" عن "الهرم الدفين"، وأصبح هذان الكشفان من أهم الاكتشافات الأثرية التى كان لها مردود عالمى، وكان الملاخ مشغولاً بالأحاديث الصحفية للمجلات العالمية.

وسافر الملاخ إلى أمريكا يرافقه "زكريا غنيم" للحديث عن هذا الكشف، وكان صديقه "أنيس منصور" فى القاهرة يمد الصحافة بالمعلومات الأثرية عن المركب وكان يحصل على هذه المعلومات تليفونياً من "سليم حسن". واستطاع كمال الملاخ أن يرسم بقلمه شكل المركب، وكان هذا الرسم التخيلى على الصفحات الأولى فى كل صحف العالم.

وعلى الفور بدأت فرقة أعداء النجاح النيل من المكتشفين، فقد حولت مصلحة الآثار "كمال الملاخ" للتحقيق، وتم خصم عشرة أيام من راتبه، ثم استقال بعدها من العمل بالآثار، ثم اتهموا "زكريا غنيم" بفقد تمثال من مخزن آثار سقارة، فانتحر الرجل بعد يومين، ثم عثروا على التمثال بعد ذلك.

واستطاع الكاتب الكبير "محمد حسنين هيكل" أن يقنع الرئيس "جمال عبد الناصر" بزيارة الكشف الجديد ومعه بعض رجال الثورة، وكانت هذه الزيارة بمثابة تشجيع للملاخ، ورغم ذلك استطاع أعضاء حزب الإله "ست" أن ينالوا منه. وأنتقل بعدها الملاخ وصديقه "أنيس منصور" للعمل فى جريدة الأخبار.

وفى صيف عام ١٩٥٧ اتصل الأستاذ هيكل بالملاخ وسأله لماذا لا تتفرغ للصحافة؟ وكان هذا هو الطريق للتخلص من الخصوم والأحقاد التى حدثت نتيجة لنجوميته، واستقال من الآثار وجريدة الأخبار ليعمل فى جريدة الأهرام، ويقدم نوعاً جديداً من الصحافة ويحرر يومياً (من غير عنوان). فهو الذى قدم "مدرسة الإيجاز فى كتابة الأسماء"، واشتهر بعبارته القصيرة، ونال تقدير العالم كله وحصل على شهادات وأوسمة رفيعة المستوى. وأُطلق اسمه على أحد نجوم الفضاء بناءً على ترشيح جامعة كلورادوا لمركز ودراسات أبحاث الفضاء. وكتب العديد من الكتب عن الآثار. ولكن يكفينا إبداعاته وأفكاره التى لازلت من معالم مصر الثقافية، ويكفينا أيضاً تشجيعه للعديد من الصحفيين الشبان. وأنا شخصياً أعتز بأننى كنت تلميذاً فى مدرسة "كمال الملاخ".

وكنت أسعد بلقاء الغداء الذى كان يقام بنادى الجزيرة والذى كان يجمعنى معه والراحلين "جمال مختار" و"أحمد قدرى".

والملاخ شخصية فريدة الطراز، ومهما كتبت عنه، فلن أستطيع أن أوفى الرجل حقه أو أشرح الجوانب الطيبة فيه. وأشير هنا إلى ما كتبه "أنيس منصور" صديق حياته فى كتابه (صالون العقاد كانت لنا أيام) فيقول: "قال لى كمال الملاخ: "إننى حزين على وفاة هذا الرجل العظيم وأسف لهذه المناقشة الحادة التى دارت بينى وبينه قبل أن يموت". فقد طلب منه المخرج "عاطف سالم" أن يتوسط لدى الأستاذ العقاد كى يقوم "عاطف سالم" بإخراج رواية "سارة" وألتقى المخرج والمؤلف فى مكتبة "الأنجلو المصرية".

الفصل السابع 9

ووافق الأستاذ ولكن لم يجرؤ "عاطف سالم" أن يعرف من العقاد الأجر الذى يريده. وطلب من "كمال الملاخ" أن يعرف منه، وتحدث الملاخ تليفونياً مع العقاد وقال له: "المخرج يريد أن يعرف كم تتقاضى عن روايتك". فرد الأستاذ: "ما يتقاضاه "طه حسين" لا أكثر ولا أقل. ولكن لعلك تعرف أن روايتى ليست بها أحداث. فهى تحليلية ولا أعرف كيف يمكن إخراجها ولا من التى تؤدى هذا الدور؟".

فقال الملاخ: "إننى سوف أدخل بعض التعديلات على الرواية" فرد العقاد: "ما هذا الذى تقول؟ إننى لا أحب أن أتعامل مع أمثالك من الجامعيين الغير مبدعين .. هل تعرف من الذى تكلمه؟ أنت تُكلم العقاد، ورد الملاخ: "وأنت تكلم الملاخ. . إذا كنت أنت العقاد . . فأنا الملاخ" فقال العقاد: " ومن تكون أنت يا هذا؟ العقاد هو الأهرام . . وأنت تتسول أمام الأهرام. . إن أقصى ما تستطيعه هو أن تشير بإصبعك إلى الأهرام، فإذا فعلت ذلك تستحق أعلى جائزة أدبية. . هذه حدودك أنت وغيرك".

ولم يعرف الملاخ السبب الرئيسى لثورة العقاد وحديثه بهذه اللهجة الحادة، ثم قال له: "يا أستاذ عقاد أنت الأهرام هذا صحيح . . ونحن ظلال إلى جوارك . بل إذا كنا جامعيين فلأننا تخرجنا فى جامعة الجامعات التى اسمها "عباس محمود العقاد" . فكيف تغضب من تلامذة تلاميذك وكيف تنكر عليهم أن يتمسكوا بكبريائهم التى تعلموها منك"؟

هذه هى مقتطفات من حياة هذا العبقرى التى سوف تظل إبداعاته مشعة فى الحياة الثقافية دائماً. والذى رحل عن عالمنا لعالمه الأبدى فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٨ وإذا كنا نريد كتاباً عن حياته من "أنيس منصور" صديقه ورفيق مشواره. فقد وجدت أن أعطى كلمة حق فى موضوع كشف المركب.

حول مراكب خوفو الخمس

بالكشف عن المركبين جنوب هرم "خوفو" يصبح للملك "خوفو" خمس حفر لمراكب مكتشفة حول هرمه حتى الآن، اثنتان جنوب الهرم واتجاههما شرقى- غربى فى وضع يوازى واجهة الهرم الجنوبية. أما الثلاثة الأخريات فتقع شرق الهرم، اثنتان فى شمال وجنوب المعبد الجنائزى، والثالثة شمال الطريق

الصاعد للهرم وأهرامات الملكات. والحفرة التى تقع جنوب الهرم وإلى الشرق من الحفرة الأولى مقدمتها تتجه إلى الغرب، حيث كانت مغطاة بـ ٤١ كتلة حجرية متنوعة الحجم، تزن كل منها حوالى ١٥ طناً، وأكبرها طولاً تبلغ حوالى ٥م، والحفرة مستطيلة الشكل يبلغ طولها حوالى ٣٢,٥٠م. وعثر بالكتل الحجرية على علامات المحاجر بالإضافة إلى ١٨ خرطوشا تحمل اسم الملك "جدف - رع" ابن الملك "خوفو" الذى أقام هرمه فى "أبو رواش"، وعثر بمدخل الحفرة على ثلاث كتل صغيرة موضوعة كنتاج للحفرة لكى تساعد على تحريك الكتل الحجرية، وأسفل هذه الكتل عثر على أخشاب متراصة فى ١٣ طبقة. وأصغر قطعة من هذه الأخشاب حوالى ١٠ سم وأكبر قطعة حوالى ١٢ م، وحوالى ٩٥٪ من هذه الأخشاب من خشب الأرز والباقى من الخشب المصرى. وأعلى القطع الخشبية المفككة عثر على طبقة من الحصير والحبال وقطعة من الظران وقطع من الألباستر. وداخل الحفرة عثر على ١٢ مجدافاً وثلاثة أعمدة أسطوانية وخمسة أبواب. وبلغ طول المركب بعد تجميعها وترميمها حوالى ٤٣,٤ م، أما العرض فبلغ حوالى ٥,٩ م.

وقام العديد من العلماء بعمل دراسات على المركب كان آخرهم الأمريكى "بول ليبيك Baul Lipke" المتخصص فى دراسات المراكب. واتضح أن هذه المركب لم تستخدم فى النيل إطلاقاً، وذلك اعتماداً على تلك الآثار التى تمثل اللون الأبيض والمتواجد على أسطح الأخشاب، فضلاً عن عدم وجود أثر للمياه على جوانب القارب. وعلى صعيد آخر أعتقد البعض أن هناك آثاراً لاستعمال المركب موجودة على اللوح الخشبى المستخدم للعبور من المركب إلى البر، بالإضافة إلى دليل آخر وهو البصمات الموجودة على الحبال المستعملة فى ربط الأخشاب. ويمكن الرد على هؤلاء بأن ذلك من الممكن حدوثه نتيجة لتأثير الرطوبة على الأخشاب داخل الحفرة. وقد تمكن الفنان المرمم الحاج "أحمد يوسف" - رحمه الله - أن يبدع فى ترميم هذه المركب، حيث ظل سنوات يعالج الأخشاب حتى تمكن من وضعها فى الصورة التى نراها الآن داخل المتحف الذى أقيم أعلى الحفرة نفسها. أما الحفرة الأخرى التى تقع غرب الحفرة الأولى، وهى مازالت مغطاة بالأحجار ولم يتم فتحها بعد، فقد قام الدكتور "فاروق الباز" بالتعاون مع الجمعية الجغرافية بالتقدم بمشروع لعمل ثقب بمنتصف الحفرة لتصوير ما بداخلها، وفى نفس الوقت إجراء قياسات على الهواء الموجود داخل الحفرة والمغلقة منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة. وقامت الجمعية بوضع كاميرا صغيرة داخل

الفصل السابع 9

الحفرة؛ وأتضح أن شكل الحفرة وما يوجد بداخلها يتماثل تماماً مع شكل ما عثر عليه داخل الحفرة الأولى ولكن حدثت مفاجئتان: الأولى أن الأخشاب كانت تمشى عليها الحشرات، وهذا يؤكد أن هذه الحفرة قد تم فتحها سواء عند الكشف أو بعد ذلك، أو أن عوامل التعرية سببت شقوقاً سمحت للحشرات بالدخول، وهى من شأنها أن تؤثر على الأخشاب. والمفاجأة الثانية أنهم لم يستطيعوا الحصول على عينات من الهواء الأصلى القديم؛ وذلك نظراً لأن الهواء الحديث اندمج مع القديم. وخسرنا أكبر دراسة علمية يمكن أن تؤدى نتائجها إلى معرفة الطريقة المثلى لترميم الأخشاب داخل المتاحف. وجاءت بعثة جامعة "واسيدا" اليابانية بعد ذلك وطلبت أن تقوم بعمل مسح شامل للفتحات التى عن طريقها يمكن دخول الحشرات، وذلك لغلقها، وقامت البعثة بإبادة الحشرات، ثم أقامت متحفاً خشبياً فوق الحفرة لحمايتها من عوامل التعرية تمهيداً لترميم المركب الثانية. وهناك مشروع يابانى آخر فى انتظار تنفيذه، ويتلخص فى ترميم المركب المدفونة بعد تقوية الأخشاب التى تأثرت من تواجد الحشرات، وفى نفس الوقت سيتم بناء متحفين تحت الأرض بالصحراء جنوب الهرم الثالث كى تنقل إليه المركب الأولى والثانية، وسوف يتم نقل المركب التى رممها المرمم العبقرى الحاج "أحمد يوسف" كما هى إلى الموقع الجديد، وسيكون نقلها بلا شك حدثاً عالمياً جديداً. وسيجعلنا نتخلص من المبنى الحالى المجاور للهرم الأكبر، لأنه يمثل تلوثاً بصرياً. والمشروع فى انتظار التنفيذ بعد أن توفر له الحكومة اليابانية الدعم المادى اللازم، وجارى الآن وضع شاشة تليفزيونية داخل مبنى الحفرة الثانية التى يوجد بها المركب المدفونة، وسوف تتصل الشاشة بجهاز تليسكوب داخل الحفرة يمكن أن يظهر ما بها على الشاشة، وفى هذه الحالة ستكون المرة الأولى التى يشاهد فيها الزائر أثراً مدفوناً فى باطن الأرض. وسيدر هذا المشروع دخلاً كبيراً يساعد على تنفيذ المشروع الكبير.

أما الحفرة الثالثة والتى تقع بجوار هرم الملك "خوفو"، فقد عثر عليها فى الجهة الشرقية إلى الجنوب مباشرة من المعبد الجنائزى، ولم يعثر داخلها على أية أخشاب، حيث يبلغ طولها ٥١,٥٠ متر، وعرضها ٧ أمتار، وعمق الحفرة ٨ متر، وقد كُشفت عام ١٨٨١ م من قبل العالم الإنجليزى "سير فلندرز بترى" الذى يلقب باسم "أبو المصريات" أثناء حفائره التى أجراها حول هرم "خوفو". ولم يكن "بترى" يعلم أن هذه الحفرة عبارة عن مركب منحوتة فى الصخر ذات مقدمة ومؤخرة، لذلك أطلق عليها اسم "الخندق". بل وعثر كذلك على كتل حجرية كانت تغطى أجزاءً من الحفرة كى تُظهرها على شكل مركب.

ويعتقد بعض العلماء أن سطح الحفرة لم يكن مغطى، ولكن كمية الملاط التى عثر عليها تُثبت أنها استعملت لتثبت الحفر الموجودة على السطح، ولا تزال بعض الكتل الحجرية التى استخدمت للتغطية فى مكانها الأصلى فى الطرف الغربى من الحفرة، ولذلك فإن شكل الحفرة كمركب تلزمه كابينة علوية، وهذه الأحجار تشكل كابينة مستطيلة تتجه مقدمتها نحو الجنوب أى أن المصريين القدماء اعتقدوا أن هذه المركب تتجه نحو جنوب البلاد.

أما الحفرة الرابعة فتقع على الجانب الشمالى مباشرة من المعبد الجنائزى للهرم، وقد ملئت بالدبش والرديم وغطيت تماماً، وذلك لتمكين السيارات السياحية من السير فى الطريق الشرقى للهرم. وعندما تقرر إقامة مشروع للحفاظ على المنطقة، وإيقاف السيارات التى تمر على سطح المعبد الجنائزى، كان لابد من إعادة إظهار هذه الحفرة. واستغرق العمل حوالى عام كامل وأزلنا كل الرديم الموجود بداخلها حتى ظهرت الحفرة. وتبعد الحفرة حوالى ٣٥,٥ متر عن منتصف الخط الشرقى الغربى من الهرم، وتم نحتها رأسياً فى الصخر، مع العلم أن الجانب الشمالى منها مكسو تماماً بالحجر. ويتضح من دراسة شكل هذه الحفر أنها نحتت أيضاً فى الصخر على شكل مركب ومقدمتها متجهة نحو الشمال أى أنها تبحر نحو شمال مصر. وقد عثر أثناء الحفائر الأولية على قطع أثرية من الحجر منقوش عليها الكلمة الهيروغليفية (آخت) والتى تعنى (أفق)، ويعتقد أنها جزء من اسم هرم الملك "خوفو" والذى يُعرف باسم (آخت خوفو) بمعنى (أفق خوفو). وعثر أيضاً على قطعة من إناء أحمر اللون، وقطعة أخرى لتمثال من الجرانيت.

أما الحفرة الخامسة فتقع بالجانب الشرقى من الهرم، بمحازاة الطريق الصاعد، وتتجه من الشرق إلى الغرب، أما مقدمتها فتتجه نحو الشرق، وتمثل عموداً رأسياً منحنياً عليه ستارة، ويبدو أن هذا الشكل مقارب لنوع المراكب المعروفة لدينا من العصر العتيق، أى الأسرة الأولى والثانية. ومساحة الحفرة تبلغ ٤٥,٥٠ متر طولاً × ٣,٧٥ متر عرضاً. وكُشف عن سلم يتكون من ١٨ درجة بداخل الحفرة، وعثر أيضاً على فتحات منحوتة بجوانب الحفرة فسرت على أنها تجاويف لإقامة عوارض خشبية صغيرة مستعرضة. أما العالم الأمريكى "جورج رايزنر George Reisner" فقد عثر بداخل الحفرة على كمية من الحبال الخاصة بالقارب وقطع من الخشب المطلية بالذهب، والتى قد تدل على أنه كان هناك قارب موجود بالحفرة.

الفصل السابع 9

واستناداً إلى دراسة المخطط العام للموقع؛ فقد اعتقد علماء المصريات أن الحفر الثلاثة التى تأخذ شكل مراكب منحوتة فى الصخر تمت خلال عهد الملك "خوفو" أى أنها تدخل ضمن برنامج بناء المجموعة الهرمية للملك، وأن الحفرتين الجنوبيتين التى عثر بداخلهما على أخشاب، تم بناؤهما خلال عهد الملك "جدف رع". وهذا يثبته العثور على تلك الخراطيش التى تحمل اسمه مكتوباً على الكتل الحجرية التى تغطى المركب.

وخلال عصر الدولة القديمة كان وجود هذه المراكب ضمن عناصر المجموعة الهرمية وحول الأهرام من أهم عناصر. فقد عثر على هذه المراكب بداية من الأسرة الأولى وحتى الأسرة الخامسة، كما عثر على هذا النوع من الحفر داخل "شونة الزبيب" بالعرابة المدفونة بسوهاج، وهى المنطقة الخاصة بالمعابد المتصلة بمقابر ملوك الأسرة الأولى والثانية بمنطقة "أم الجعاب" فى نفس المنطقة. كما عثر العالم الأمريكى "دافيد أوكونور David O'Connor" والذى يعمل بجامعة نيويورك الآن، على ١٣ حفرة مغطاة بقطع من الطوب اللبن مطلية من الداخل بالجبس. وقد تم فتح حفرة واحدة وعثر داخلها على كمية متراصة من الأخشاب مثل الحفرتين الجنوبيتين لهرم "خوفو".

كما عُثر أيضاً على حفر لمراكب غير ملكية فى حفائر "زكى سعد" بحلوان. وأخرى عثر عليها "على رضوان" فى حفائره بأبو صير. وظهرت بعد ذلك المراكب فى عصر الملك "خوفو"، ثم فى عهد الملك "خفرع"، حيث عثر فى الجانب الشرقى من هرمه على خمس حفر منحوتة فى الصخر، وكذلك حول المعبد الجنائزى. كما عثر على حفرة واحدة منحوتة فى الصخر شرقى هرم الملك "جدف رع" بأبو رواش. ولم يعثر على أى نوع من تلك الحفر حول هرم الملك "منكاورع"، إلا أن الراحل "عبد العزيز صالح" لاحظ أن هناك رسومات لمراكب على الكتل الحجرية حول هذا الهرم. وسجل لنا حجر "بالرمو" -الذى يرجع تأريخه إلى الأسرة الخامسة- رسومات تمثل أنواعاً مختلفة من المراكب، وبأحد سطور الحجر نقرأ أن الملك "نفر إير كارع" قد وضع مركباً كبيراً بالركن الجنوبى لمعبد الشمس لاستخدامه أثناء رحلة النهار. وهناك نصوص أخرى لنفس الملك تشير إلى مركب الليل والنهار الخاصة بالإله "رع" إله الشمس. وما بين عامى ١٩٠٠-١٩٠١ م اكتشف العالم الألمانى "بورخارد" الذى كان يعمل فى منطقة أبو غراب وأبو صير على قارب مبنيى من الطوب بجوار معبد الشمس خاص بالملك "نى-أوسر-رع" أحد ملوك الأسرة

الخامسة، ولذلك يعتقد أن هذا المركب خاص برحلة الشمس. ولم يعثر بعد ذلك إلا على حفرتين للمراكب حول هرم الملك "ونيس" آخر ملوك الأسرة الخامسة، وتتوازى هذه الحفر مع الطريق الصاعد، واعتقد العديد من العلماء أن هذه المراكب خاصة برحلتى الليل والنهار أى أنهما من مراكب الشمس التى أشار إليها حجر "باليرمو". ولم يعثر بعد ذلك حول أهرامات الأسرة السادسة على أية أنواع للمراكب، وربما يكون السبب فى ذلك أننا لم نستكمل الحفائر بعد، خاصة حول أهرام هذه الأسرة التى تمثل أهرامها بكميات ضخمة من الرمال. وربما يكون العامل الدينى هو السبب فى عدم وجود حفر لمراكب حول أهرام الأسرة السادسة، على الرغم من أن الأشراف وكبار حكام الأسرة السادسة قد رسموا المراكب على جدران مقابرهم، بل وتم العثور على حفر داخل تلك المقابر.

وظيفة المراكب

وحقيقة الأمر أن هناك ثلاث مدارس فكرية تتعلق بدراسة المراكب الموجودة فى الناحية الجنوبية من الهرم الأكبر، وللأسف فإن هذه المدارس تناولت مناقشة الحفر الأخرى الموجودة شرقى الهرم ولم تحاول تفسير ماهيتها. غير أن عالم آثار واحد فقط ناقشها سريعاً وهو العالم التشيكى "ياروسلاف تشيرنى Jaroslav Černý"، وهو صاحب المدرسة الأولى التى اعتقد أصحابها أن أربعة مراكب من الخمسة كانت عبارة عن مراكب للطقوس والشعائر من أجل نقل الملك إلى الجهات الأربع الأصلية، أما القارب الخامس فكان مخصصاً لنقل جثمان الملك من العاصمة "منف" إلى منطقة الجيزة. ولم يناقش "تشيرنى" الشكل المعمارى لهذه المراكب والحفر الخاصة بها.

أما المدرسة الثانية فقد نادى بها "سليم حسن" والعالم الإنجليزى "والتر إيرى Walter Brian Emery" ومن بعدهما "كمال الملاخ"، وهى تقول بإن هذه المراكب عبارة عن مراكب رمزية شمسية، وهى التى كانت تحمل الملك أو الإله "رع" عبر السماء، وأستند "إيري" فى تحليله، إلى المراكب التى عثر عليها بجوار مقابر الأسرة الأولى بسقارة وناقشها "سليم حسن" بالتفصيل فى إحدى كتبه التى نشرت باللغة الإنجليزية.

الفصل السابع 9

أما المدرسة الثالثة والتى تبناها "عبد المنعم أبو بكر"، فتشير إلى استخدام هذه المراكب فى حياة الملك لنقله للحج إلى الأماكن المقدسة، ثم عاد "أبو بكر" فى مقال آخر ليثبت أنها مراكب جنائزية استخدمت لنقل جثمان الملك إلى الهرم ودفنت بعد ذلك فى الحفر الجنوبية!

وقد لاحظ "تشيرنى" أن المراكب الأربعة التى تحدث عنها تتجه كل منها بالمقدمة إلى إحدى الجهات الأربع الأصلية، ويعتقد رمزياً أن الملك فى أى وقت كان يتجه إلى تلك الجهات، واعتمد على "متون الأهرام" التى وجدت داخل هرم الملك "ونيس" آخر ملوك الأسرة الخامسة كدليل يؤيد رأيه، حيث يوجد نص يشير إلى منح آلهة الغرب والشرق والجنوب والشمال الملك المتوفى حصائر ذات أشكال معمارية محدبة وذلك عندما يعرج إلى السماء. ويقترح أيضاً أن هذه المراكب تمثل تطوراً للقوارب المبكرة التى كانت تُمثل على شكل حلية معمارية، وأن الحفرة الخامسة تتضمن المركب الذى ينقل جثمان الملك دون الإشارة إلى أسباب مقنعة.

وفى دراسته للمراكب الملحقة بالمجموعة الهرمية للملك اعتقد "سليم حسن" أن هذه الحفر المجاورة للأهرام عبارة عن أوعية لحفظ القوارب الشمسية التقليدية بصرف النظر عن أعدادها داخل المجموعة الهرمية طبقاً لنظريته التى تقول: "إن الملك تعرف على النجوم بالسماء الشمالية، وفى ظل تأثيرها فإن المركب اليومى يطير من الجنوب إلى الغرب ويسافر المركب الليلى من الشمال متجهاً نحو الشرق، فهى النجوم التى لا تعرف التعب، ويقوم الملك فى شكل الإله رع بدور ربان السفينة".

واستند "حسن" أيضاً على متون الأهرام وحجر "بالرمو" ليدعم نظريته. فهناك فى النصوص فقرات تدل على استخدام المراكب الشمسية. وتقول إحداها: "لقد أتى الملك إلى رع مطالباً أن يكون ملكاً على الأرض: فهو يصعد مع آتون، ويرتفع ويهبط مع رع، ومع القوارب الشمسية". وفى موضع آخر يظهر الملك بأنه نجم مثل "رع" و"حورس" والملك هو الذى يعرج إلى السماء. ومن ناحية أخرى نص يذكر "يا آلهة الغرب، يا آلهة الشرق يا آلهة الجنوب يا آلهة الشمال، هذه هى القوارب الأربعة التى جهزتموها لأوزوريس عندما يصعد نحو السماء". وأيضاً هناك فى متون الأهرام ما يشير إلى أن "كا" الملك سوف

يصبح نجماً وتشارك النجوم الشمالية، وهناك نجم آخر يشارك الملك فى الجهات الأربعة الأصلية ويقول إنه سوف يعرج إلى السماء مثل "حورس" و "رع". لذلك فإن هذا يثبت أن الملك يحتاج إلى مثل هذه القوارب ليصعد بها نحو السماء ليصل إلى مكان أبيه الإله الأعظم "رع". ولابد لنا من الإشارة إلى أن تلك الدراسة الممتعة للراحل العظيم سليم حسن جاءت قبل الكشف عن مركبى "خوفو" الجنوبيتين بأكثر من عشرين عاماً.

ومن الغريب أن "عبد المنعم أبو بكر" قد نشر فى البداية مقالاً يثبت فيه أن المراكب الموجودة جنوب الهرم هى مراكب شمسية، ثم عاد مرة أخرى فى مقال آخر اشترك فيه مع الحاج "أحمد يوسف" ليثبت أنها مراكب خاصة بالحج والجنازة، وهذا الرأى هو الذى يعتمد عليه دارسو الآثار الآن ويتم تدريسه بالجامعات المختلفة.

أما "سليم حسن" فقد جادل بأن هناك ثلاث حفر على شكل مراكب تقع إلى الشرق من الهرم تحوى بداخلها مراكب استخدمت خلال حياة الملك، واستخدمت مرة أخرى رمزياً بعد وفاته لزيارة مراكز العبادة الهامة المقدسة بمصر وتحديداً: "هليوبوليس"، "سايس"، "بوتو". هذا وقد قام الملك بزيارة هذه الأماكن أثناء حياته، ولكن ليس هناك دليل على رغبته فى أن تدفن هذه المراكب قريبة من هرمه.

وهناك دلائل استند عليها "أبو بكر" ليؤكد أن هذه المراكب ليست شمسية، فاستند على منظر داخل مقبرة خاصة بالجيزة للمدعو "كا-ام-نسوت"، وفيه يظهر قارب يبحر مكتوباً أعلاه: "إن القادم من بوتو، والمبحر إلى حقول القربان العظيمة الجميلة". ونص آخر يقول: "الإبحار إلى هليوبوليس". وهذا دليل فى رأيى لا يأخذ به، خاصة لأن هذا الدليل من المقابر الخاصة، والعقيدة الدينية الملكية كما نعرف تختلف تماماً عن العقيدة الدينية للأفراد.

وهناك ستة أدلة استندوا إليها لإثبات أن هذه المراكب ليست شمسية، وهنا سوف نستعرضها ونناقشها فى نفس الوقت:

أولاً: أن ملوك الأسرة الرابعة لم يعتنقوا عقيدة عبادة الإله "رع" رسمياً.

ثانياً: لم تتضمن "متون الأهرام" ما يفيد أن الملوك كانوا يمتلكون قوارب شمسية خاصة بهم، وأن ذلك خاص بالإله "رع" فقط.

ثالثاً: أن شكل قارب "خوفو" المكتشف يختلف تماماً عن شكل القوارب الشمسية، خاصة من ناحية شكل المجداف الأمامى.

رابعاً: لم يتم العثور أثناء الحفائر داخل الحفرة على شعار أو رمز يدل على أنه قارب للشمس.

خامساً: من المعروف أن قارب "خوفو" تم تزويده بعشرة مجاديف ومجدافين للقيادة، ولذلك لا يمكن اعتباره رمزياً، بل هو قارب حقيقى استغل فعلاً فى حياة الفرعون.

سادساً: وأخيراً يقرر "أبو بكر" أن هناك بعض الأدلة التى تفيد بأن هذا المركب قد استخدم مرة واحدة، ويمكن رؤية تأثير المياه على الحبال التى عثر عليها والمعروضة حالياً فى متحف مركب خوفو إلى جوار الهرم.

وإذا ناقشنا الأدلة التى تثبت أن هذه المراكب جنائزية، سنرى بطلانها كلها. وللأسف لم يظهر مقال أو كتاب علمى ناقشها غير كتابى الذى نُشر فى عام ١٩٨٧م، وناقشتُ فيه بالإنجليزية كل هذه الأدلة.

أما بخصوص الدليل الأول الذى يشير إلى أن ملوك الأسرة الرابعة لم يعتنقوا عبادة "رع"، فعلى النقيض تماماً فإن هناك أدلة قوية تثبت عبادتهم للإله "رع"، وبدأ ذلك مع الملك "جدف – رع" ابن الملك "خوفو"، الذى كان أول من حمل لقب (ابن رع)، ثم تبعه "خفرع". وهذه فى رأيى ملاحظة هامة جداً، لظهور اسم "جدف – رع" داخل الحفرة فى أكثر من مكان.

ومن المعروف أن عبادة الشمس و الإله "رع" ترجع إلى عهد الأسرة الأولى كما يوضح لقب (المشرف الأعلى لرع)، والذى حمله رجل يعرف باسم (نيس ود) كان يعمل مع الملك "دن" أحد ملوك الأسرة الأولى. وهناك أيضاً أسماء معروفة من الأسرة الثانية كانت تحمل اسم "رع" مثل "رع نوب". وقد

كان هذا الاسم أيضاً من ضمن أسماء الملك "زوسر" مؤسس الأسرة الثالثة، حتى أن مهندسه المعمارى العبقرى "إيمحوتب" الذى بنى الهرم المدرج حمل لقب "كبير الرائين" لرع. أما الملكان الوحيدان اللذان لا يحملان لقب "رع" ضمن أسمائهما فهما الملك "خوفو" والملك "سنفرو". إلا أن هناك رجلاً كان يعمل تحت إمرة الملك "سنفرو" حمل لقب (كاهن رع الأعظم). وأعتقد ويوافقنى الرأى العالم الألمانى "شتادلمان" أن "سنفرو" و "خوفو" اعتبرا نفسيهما الإله "رع" نفسه فى حياتهما، ولدى حوالى اثنى عشر دليلاً علمياً تؤكد ذلك، وقد نشرت تلك الآراء فى مقالات عديدة. وأهم هذه الأدلة هى أن هرم "سنفرو" و "خوفو" هما الهرمان الوحيدان اللذان تقع بهما حجرة الدفن داخل الهرم وليس أسفله مثل باقى الأهرام، واسم هرم "خوفو" هو (آخت خوفو) أى "أفق خوفو" والوحيد الذى يوجد فى الأفق هو "رع".

أما الدليل الثانى بأن الملك لم يكن لديه قوارب شمسية لأنها خاصة بالإله فقط. فلو عدنا إلى متون الأهرام التى استندوا إليها سابقاً فسوف نجد نصوصاً تشير إلى أن الملك كان يستقل مركباً للشمس، هذا بالإضافة إلى الدليل الجديد الذى يؤكد أن "خوفو" نفسه كان إلهاً للشمس، فقد كان بإمكانه أن يمتلك مراكب للشمس مثل رع.

وبخصوص أن المركب المكتشف للملك "خوفو" والمعروض حالياً بالمتحف ليس مركباً شمسياً طالما أنه لا يتضمن رأس كبش أو صقر فى مقدمة القارب، فقد أقر "سليم حسن" أن هناك رموزاً عديدة عُثر عليها داخل الحفر تؤكد صلة هذه المراكب بالشمس، منها أدوات الصوان وحليات رمزية صغيرة.

أما بخصوص المجاديف الخاصة بالمركب المكتشفة فى عام ١٩٥٤م، والتى تؤكد استعمالها وأنها ليست مجاديف رمزية، فهنا أود أن أشير إلى أن المصريين فطنوا إلى أن النجوم هى التى سوف تقوم بالتجديف وأن الملك هو الذى يقود القارب. وقد قام العالم الأمريكى "بول لبيك" الذى قام بدراسة هذا المركب مع الحاج "أحمد يوسف"، ونشر كتاباً مفصلاً أشار فيه إلى أن هذه المجاديف ثقيلة جداً ولا يمكن استخدامها، بل وأوضح أنها مجاديف رمزية.

وعلى النقيض مما ذكره "أبو بكر" من أن هناك علامات تفيد باستخدام القارب، إلا أن هناك دليلاً

قوياً يُثبت أنه لم يستخدم إطلاقاً. فقد عُثر على آثار للون أبيض على سطح بعض القطع الخشبية كان من الممكن أن تمحها المياه فى حالة استخدامه.

أما "زكى إسكندر" الذى كان مسؤولاً عن الدراسات العلمية للمركب، فقد أكد وجود نشارة خشب بجوار الحفر، تُثبت أن المركب صُنع بجوارها وبعد ذلك تم فكه ووضعه داخل الحفرة وأكد ذلك علماء آخرون. ولذلك فإن ملاحظة "أبو بكر" على الحبال هى ملاحظة ضعيفة وليست قائمة على أى تحليل علمى، لأن هذا القارب لو كان قد استعمل بالفعل، كان لابد من وجود عوارض خشبية وعلامات وآثار تدل على ذلك، وهو ما أثبته ما قامت به الجمعية الجغرافية عام ١٩٨٨م، حيث ثبت بالدليل القاطع من خلال الصور الملتقطة للمركب أنها تتشابه مع المركب الأولى، كما شوهدت أيضاً حشرات تسير فوق أخشاب المركب، وهو الأمر الذى جعل المجلس الأعلى للآثار يستعين بالخبرات اليابانية، حيث قاموا بتغطية الفتحة وقتل الحشرات، وهناك مشروع يابانى-مصرى لاستخراج المركب وترميمها، ثم نقلها إلى مكان آخر بعيداً عن الهرم، لأن وجود متحف إلى جانب الهرم يشكل تلوثاً بصرياً للهرم وللمنطقة الأثرية.

وبناءً عليه فإن الأدلة كثيرة للإشارة إلى عدم استخدام هذا القارب، خاصة أن مساحة القارب ليست كبيرة بدرجة كافية تسمح بالإبحار فى رحلة طويلة مريحة، بالإضافة إلى عدم وجود نوافذ على الإطلاق.

أما الحاج "أحمد يوسف" فقد أشار إلى أن الحصير الموجود بداخل المركب قد تشبع بالماء ووضع حول جسم المركب من أجل خلق بيئة رطبة للحفاظ على جسد الملك دون تعفن أثناء انتقاله من "منف" إلى "الجيزة". وظهر أن التأثيرات الموجودة على الحصير سببها الرطوبة وليس الماء. وقد استند أخيراً "أبو بكر" إلى رأى يقول إن المركب المكتشف حالياً هى المركب التى كانت تستعمل للإبحار مع التيار بالمجاديف، أما المركب الآخرى الذى مازالت فى الحفرة الثانية فسوف يكون بشراع لاستعماله ضد التيار. وقد أثبتت الدراسات والصور التى أُخذت للحفرة بأن المركب الثانى ليس بشراع بل يتماثل فى الشكل مع المركب الأول.

وأعتقد أن الحفرتين الموجودتين إلى الجنوب والشمال من المعبد الجنائزى هى قوارب خاصة بالملك فى شكل الإله "حورس"، وكانت فى خدمته أثناء رحلته إلى آفق "رع". وهناك نوعان من قوارب "حورس" مكتوبة بالهيروغليفية وهى قارب mit والقارب الأسود dw3t وهما يتطابقان فى الشكل مع هذه الحفر. وطبقاً للديانة المصرية القديمة يعتبر الملك تجسيداً لـ "حورس" على الأرض، وأن ألوهية الفرعون كانت بمثابة إلهام خاص للمشاركة فى الضروريات مع الإله "حورس"، وكان رمز الملك هو الصقر "حورس". وبدأ لقب الملك "كحورس" يظهر فى الأسرة الرابعة، وكان الملوك يحملون أيضاً إلى جواره لقب ملك مصر العليا والسفلى موضحاً بذلك الوظيفة المزدوجة لشخصية الملك. وبناءاً على ذلك نقترح أن الملك هو "حورس" ويحتاج إلى قاربين لتنفيذ هذه الطبيعة المزدوجة. ونجد بعد ذلك فى عصر العمارنة بأن اتجاه الشرق – الغرب مرتبط مع إله الشمس أو إله الكون بينما اتجاه الشمال والجنوب يمثل الملك الحى على الأرض!! إن الغرض هو تقديم الإله من الشرق إلى الغرب، والملك من الشمال إلى الجنوب!! ولكن فى الحقيقة هى أن تلك المحاور متممة لبعضها البعض فى العالم الدنيوى. وفى عيون المصريين إتجاه الشمال – الجنوب أوجدته مصر العليا والسفلى. وهناك أدلة أخرى فى متون الأهرام تؤيد الافتراض القائل إن هذين القاربين الشرقيين مرتبطان بالملك باعتباره "حورس".

"إن القوارب الطائرة فى السماء قد تنزل من أجل حورس، حيث يمكنه العبور عليها إلى الأفق حيث حور آخت، وإن الحليات الطائرة فى السماء قد وضعت فى مكانها من أجلى حتى أعبر إلى الأفق إلى رع".

وكانت حفرتا القوارب الشرقية التى تجاور المعبد، مخصصتين للملك باعتبار توجيههما من الشمال على الجنوب، حيث إن الملك باعتباره "حورس" لديه القوة التى تمكنه لأن يمتد من الشمال إلى الجنوب. وهاتان الحفرتان تختلفان تماماً عن الحفر الجنوبية، وتقعان بجوار المعبد، حيث ترتبطان بنشاط الملك، تشير المناظر الممثلة داخلهما إلى نشاطه كحورس على الأرض. أما الحفرة الثالثة التى تأخذ شكل مركب وتقع شمال الطريق الصاعد، فأعتقد بأنها مركب رمزية خصصت للإلهة "حتحور" كما هو ثابت ومكتوب فى بردية "أبو صير". أما الحفرتان الجنوبيتان اللتان عثر داخلهما على الأخشاب، فقد ثبت من المناقشة السابقة أنهما ليستا جنائزيتين بل هما مركبان شمسيان.

9 الفصل السابع

وتشير متون الأهرام إلى أن الإله "رع" (خوفو) يمتلك قاربين استخدمهما فى تنقلاته شرقاً وغرباً. وهنا تشرق الشمس وتدور حول الأرض فى قاربين من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق، وينتقل من قارب إلى آخر عند شروق الشمس وغروبها.

وكانت الشمس تبحر غرباً فوق سطح الأرض، وشرقاً تحت سطح الأرض وقد تم توجيه القارب الليلى مسكتت (msktt) نحو الشرق، والنهارى نحو الغرب معنجت (mꜥnḏt). وقد أثبتت الدراسات أن القارب المكتشف يمثل قارب النهار وخاصة لأنه موجه غرباً، أما القارب الآخر والموجود داخل الحفرة الأخرى فهو خاص بالليل ومقدمته تتجه شرقاً.

ويمكن التوصل إلى دليل من هذا الافتراض، والذى وجد فى تصميم الحفرتين الجنوبيتين ويفصل بينهما جدار من الصخر وموجود على المحور الشمالى الجنوبى من الهرم. وسوف نجد أن الفتحة الجنوبية الموجودة داخل حجرة الدفن لهرم "خوفو" والتى يطلق عليها خطأ "فتحة التهوية"، تقع مباشرة على المحور الذى يفصل بين المركبين وهما مركب النهار ومركب الليل، ويقوم الملك "خوفو" فى شكل الإله "رع" بالخروج رمزياً من هذه الفتحة كى يستقل المركب طبقاً للرحلات التى سوف يقوم بها.

وقد أكدت بردية "أبو صير" التى عثر عليها داخل معبد الملك "نفر - إير - كارع" من الأسرة الخامسة أن وجود الأخشاب داخل فتحة المركب هامة جداً لأن الملك سوف يستقله بعد أن يتم تجميعه، ولذلك كان لابد من وجود هذه الأخشاب، وقد أثبت "زكى إسكندر" أن مركب "خوفو" قد صنع بجوار الحفرة ثم تم فكه كى يوضع داخلها.

ومن المعروف أن الإله "رع" سوف يستقل هذا المركب وسينقله فى رحلة الليل والنهار، وسوف تقوم النجوم بالتجديف للإله، وعندما يقابل الإله أى حيوان شرير أثناء رحلته فكان يتخلص منه عن طريق المجاديف المدببة، لأن واجب هذا الإله هو تطهير العالم من الشر، والأرواح الشريرة، وبالتالى يقدر شعبه ذلك المجهود والفضل الذى صنعه من أجلهم، فيعبدونه كإله أعظم.

ومن الخطأ أن تتم دراسة أى عنصر معمارى، أو قطعة أثرية فى أى موقع دون دراسة ما حولها من آثار ومعابد وأهرامات ومناظر ممثلة بالمعبد والتماثيل وغيرها، وهذا ما قمنا به، حيث لم ننظر فى هذه الدراسة إلى المركب كوحدة مستقلة بذاتها عن باقى عناصر المجموعة الهرمية، بل فسرنا جميع عناصر المجموعة ككل من خلال وحدة واحدة، لذلك استطعنا أن نصل إلى هذه النتائج. ولكن يجدر بنا الإشارة إلى أن المجموعة الهرمية كانت مخصصة لعبادة الثالوث المكون من الإله "رع" إله الشمس، "حورس" ثم "حتحور" التى عُبدت فى "منف"، وكانت تجلس تحت شجرة الجميز لذلك عرفت باسم (سيدة شجرة الجميز)، وهناك أدلة لعبادتها فى جبانة الجيزة. وسوف نجد أن كل إله منهم كان يُعبد فى مكان معين داخل المجموعة الهرمية، وأيضاً سوف نجد ارتباط المراكب الخمسة بهذا الثالوث، وفى نفس الوقت لابد أن نعرف أنه خلال الأسرة الرابعة ظهر فكر دينى جديد لم نعرفه من قبل، حيث قام الملك "خوفو" بطرد كهنة "هليوبوليس" وأصبح هو نفسه الإله "رع" أثناء حياته، ولذلك فإن المركبين الموجدين شمال وجنوب المعبد الجنائزى، هما مركبان خاصان بالملك "خوفو" "كحورس" كى يبسط نفوذه وقوته على جنوب مصر. أما المراكب الواقعة على جنوب مصر، والمراكب الجنوبية هى مراكب رمزية خاصة بالشمس أثناء رحلة النهار ورحلة الليل. أما المركب الخامس فكان خاصا بالإلهة "حتحور" التى هى (عين رع)، وزوجة الملك الحى "حورس"، وهى فى نفس الوقت أم الملك القادم.

هذه هى حقيقة المركب... بالعلم، والمنطق، والأدلة هى مراكب شمس، إلا أن بعض العلماء ذكروا أنها مراكب جنائزية بدون أدلة موضوعية سليمة، وقد كان "كمال الملاخ" مصيباً حين أطلق عليها (مركب شمس) بعد كشفه لها فى ٢٥ مايو ١٩٥٤.

وقد استطاع الحاج "أحمد يوسف" عبقرى الترميم أن يعزف أجمل الألحان بيديه الذهبية ليعيد المركب إلى حالته الأولى. ويضيف إلى مقتنياتنا الأثرية قطعة جديدة رائعة.

obeikan.com